الآن غاية متاجرنا ومواصلنا من الشمال والشرق للذين تجرهم الحرب والذين لن تخلو بلاد اوربية منها . فالحياد لا ينقذنا والضرر الذي تلحقهُ بوارج الاعداء بتجارتنا لا يكاد يذكر في جنب الضرر الذي ينشأ عن الاحوال الاقتصادية بسبب الحرب فنحن الآن احرار في حل عقدة يجب بسط عواقبها فقد نشأ عن الحرب بين النمسا وصربيا مشاكل تضعضع الشكل وتوالت الحوادث بسرعة مدهشة بحيث يتعذر وصف ما حدث ولكن حل قصدي كان ان اظهر المكتوم الحق للميون لحلافته بها مستندا وتأثيره فيها وقد عرضت الحقائق الكبرى امام المجلس فاذا اضطررنا بسرعة الى الدخول في الحرب وهو المرجح فاني اعتقد ان البلاد تدرك الامور المرهونة بالحالة الحاضرة ووجوه الخلاف ومبلغ الخطر الذي يتوقعهُ والذي حاولت بسطهُ لكم واعتقد ان الوزارة لا تنال عضد مجلس النواب فقط بل ان البلاد باسرها تؤيدها بالعزم والحزم والشجاعة والصبر (هتاف عال) » انتهى باختصار كثير

جرجي بك زيدان

رزئت العربية وابناؤها بفقد كاتب من نخبة كتابها عالم بحث في خزائن كتبها وما كتبهُ الافرنج عنها بحثاً مستفيضاً واستخلص من ذلك كتباً ممتعة في آدابها تشهد لهُ بسعة الاطلاع واصالة الرأي والبراعة في التبويب والتنسيق فكان لهذه الكتب شأن كبير شرقاً وغرباً وتُرجم بعضها الى كثير من اللغات الشرقية والغربية . وبحث في تواريخ دول الاسلام والف فيها كتاباً جليلاً وبنى على تواريخها سلسلة من الروايات التاريخية الفكاهية جمع فيها زبدة تواريخ تلك الدول على اسلوب لا يملهُ القارئ فكان لهذه الروايات وقع عظيم لدى الامم الشرقية لانها مبنيةٌ على ما الفوهُ من اسماء الاعلام وما لهُ اشد علاقة بتاريخ اسلافهم الذي يفاخرون بهِ فترجمت هذه الروايات ايضاً الى بعض اللغات الشرقية . هذا عدا اشتغالهُ بانشاء مجلة الهلال التي مرَّ عليها الآن اثنتان وعشرون سنة وهي تبحث في المواضيع التاريخية والاجتماعية والعلمية والادبية والصحية وعدا التاريخ الذي الفهُ لهذا القطر وهو باكورة مؤلفاته التاريخية

ولد بمدينة بيروت سنة ١٨٦١ وطلب علم الطب في المدرسة الكلية الاميركية وكان من اساتذتها فتوسمنا فيهِ ميلات النجابة وعزم الهمة . وحدث في المدرسة حادث افضى الى خروج كثيرين من تلامذة الطب منها وهو في بداءة السنة الثانية فخرج مع الذين خرجوا واتم دروس تلك السنة على بعض الاساتذة متنصراً على ما يلزم منها لصناعة الصيدلة كالمحلل الكيماوي والاقرباذين . وجاء بعد ذلك الى القطر المصري ورافق الحملة النيلية الى السودان

سنة ١٨٨٤ فسار معها مترجمًا في قلم المخابرات وقضى هناك عشرة اشهر . وفي السنة التالية عاد الى بيروت ودرس العبرانية والسريانية هو وصديقهُ الاستاذ جبر ضومط وألف كتابًا في الفلسفة القديمة مبنيًا على مباحث علماء اللغات من الافرنج . وذهب الى البلاد الانكليزية سنة ١٨٨٦ وعاد منها الى القطر المصري فسكناهُ ادارة اشغالنا سنة وبعض سنة[1] ثم استقال وانقطع للتأليف فالَّف تاريخ مصر الحديث وانشأ الهلال وجعل يؤلف الروايات والكتب التاريخية والادبية كتاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية . وروايانهُ التاريخية الاسلامية ثماني عشرة وله اربع روايات اخرى ادبية تاريخية وكان عضوًا في المجمع العلمي الشرقي وفي الجمعية الاسيوية الملكية بانكلترا والمجمع الاسيوي الفرنسوي والمجمع الاسيوي الايطالي

ولا شبهة في انهُ كان من النوادر بين ابناء العربية عمل في ربع قرن ما يعجز عنهُ ثلاثة او اربعة من المتفرغين للتحرير والتحبير . ولعلَّ اشتغالهُ الكثير انهك قواهُ وعجَّل في اجلهِ فتوفي فجأة في ٢٢ يوليو الماضي قبيل نصف الليل بعد ان كتب آخر كلمة من المجلد الثاني والعشرين من الهلال واتم آخر جزء من تاريخ آداب اللغة العربية الملحق بهِ توفي بين الدفاتر والمحابر . ثم صدر الهلال وقد الحق بهِ جماعة من ارباب الاقلام ما عبَّروا بهِ عن اسفهم على الراحل الكريم واملهم بجعلهِ ان يقتفي خطوات والدهِ . وما احسن ما قالهُ احدهم خليل افندي مطران « من اكبر مآثرهِ (اي مآثر الفقيد) انهُ اعدَّ لمستقبل الهلال عدة فريق بكر ولديهِ حياهُ لذلك المقام الناصب تعليمًا في المدارس ثم تدريبًا على يديهِ في العمل »

ولقد اطلعنا على مقالات نجل الفقيد في الهلال فسررنا بها وهنأناهُ بهِ ونحن نرجو الآن ان يقتفي خطوات والدهِ ويبني على الاساس المتين الذي وضعهُ لهُ

وكان الفقيد ربعة ممتلئ البدن اسمر اللون انيس المحضر واسع الرواية حسن المحاضرة متفانيًا في الاعتناء بذويهِ والاهتمام بامورهم ترك زوجة فاضلة واجلة وابنين فرزؤهم بهِ ورزء والدتهِ واخوتهِ وكل معارفهِ ومحبيهِ اكبر الارزاء لكن لهم من العزاء انهُ ابقى من المآثر والآثار ما يخلد ذكرهُ

وقبل ان نتم كتابة هذه السطور جاءتنا الابيات التالية عن لسانهِ بقلم صديقهِ الفاضل اسعد افندي داغر

---

(١) رأينا في ترجمتهِ المنشورة في آخر الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية ان ادارة المقتطف طلبت اليهِ سنة ١٨٨٦ « ان يتولى ادارة اشغالها والمساعدة في تحريرها فعل » وقد رأينا اظهارًا للحقيقة ان نعيد هنا ما ذكرناهُ في الصفحة ٢٢٥ من مقتطف مايو سنة ١٨٩٦ في الكلام على تاريخ المقتطف وهذا نصهُ « ان كل ما نسب اليهِ غير صحيح ومن قلد ولا يستثنى من ذلك الا سنة الحادية عشرة وهي نصف صفحة كتبها صديقنا جرجي افندي زيدان لما كان في ادارتنا واضطرتنا الحال ان نسافر الى القطر الشامي بغتة »